

بِأَمْرِ السُّلْطَانِ

الاحتفال بعيد الدستور العثماني

قرر مجلس الأمة العثمانية المؤلف من المبعوثين والاعيان أن يكون مثل اليوم الذي أعلن فيه الدستور من كل عام عيداً وطنياً للعثمانيين تحتفل فيه الحكومة رسمياً . وصدرت إرادة السلطان الدستوري الأول مولانا محمد الخامس بذلك ، وقد علم من صحف عاصمة السلطنة ان الاحتفال الاول فيها سيكون ذا بهجة وفخامة لم يمهدها نظير ، يشترك فيه الاهالي مع الحكومة بحض أربحيتهم واختيارهم راضين مسرورين لا كاحتفالات عيد الجلوس الحميدي التي كان عبد الحميد ينفق على الرسمي منها وغير الرسمي حتى انه كان يرسل مقدار الزينة من يلذ الى دور الكبراء لعله انه لا يكاد يوجد فيهم من ترتاح نفسه الى إنفاق شيء مما ملكته يده على ذلك وان كان مما نهبه بجاه عبد الحميد من مال الامة او مما باعه للاجانب من مصالحها

سبق لنا بحث في فلسفة هذه الاحتفالات في المجلد الرابع من المنار في مقالة عنوانها (الشهور والوجدان ، وشعائر الامم والاديان) (في ص ٦٤١) وفي استدراك عليها (في ص ٦٧٥) وقد بينا هناك ان الاعياد من الشعائر التي تحيي شعور الامم بالمعنى الذي وضع المبدأ لاجله سواء كان دينياً أو اجتماعياً ومما قناه في المقالة :

« إن أهل الغرب اتخذوا الملوكتهم أعياداً لإحياء شعور الوطني الذي يمثله رئيس الدولة في الملكية ، وللدول الجمهورية منهم اعياد باسم الحكومة التي يعترف بها ويعززونها . وقد قلدهم الشرقيون في الاحتفال بأعياد ملوكتهم وأمرأتهم لإرضائهم إذ كانوا لا وطن لهم ولا وطنية ، ولا دول عزيزة بحكومتها قوية ، ولا شك ان هذه الأعياد شعائر تبعث الشعور بحب السلطان أو الأمير في نفوس الذين يعتقدون

النفع فيه للدولة والامة . فينتفع بهذا المستبدون ، ويفتر به المغتربون ، حتى ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون »

وقد مزجنا في هذابين ماهو مقصود من هذه الاحتفالات بأعياد الملوك والامراء الفا وما كان ينبغي ان يقصد ثم استدر كنا على ذلك في الجزء الذي نشرت فيه المقالة بعد ذكر الاحتفال بهدم الأمير من أوربا فيينا ان الشرقيين لم يتبعوا الغربيين في ذلك وانما يحتفلون بالملوك والامراء لذواتهم لا لعنى وطني عام . قلنا « والصواب ان الشرقيين اشد الناس تعظيما لملوكهم منذ القدم وحسبك انهم عبدوهم من دون الله ، وأنهم لا يزالون يقدسونهم بقدر ما لهم من السلطة والاستبداد . وأما مسألة إحياء الشهور قترى بعض الجرائد تنوه بضدها ذاهبة الى ان هذه الاحتفالات منبعثة عن الشهور بعظمة من احتفل لأجله وجهه . وربما يصح هذا من بعض المحتفان الذين لهم فيه منافع تولد هذا الشهور وإنما الظلم في إسناده الى الأمة مع ان القائمين به أفراد معدودون معروفون » اه المراد منه هنا

وأقول الآن إن الاحتفال لذ كرى جلوس السلطان عبد الحميد قد كانت من أسباب انتشار الشهور بعظمته في نفوس من لم يدركوا ظلمه ونفوس من ذاقوه من حيث لا يطمون انه منه وكذا من عرفوا ولكن شعور هؤلاء بعظمته في امتهم كان يزيدهم شعورا بمقتته وبفضه ، ولم يحل دون ذلك الشهور كله كون النفقة على الاحتفال الرسمي منه كانت من مال الحكومة وعلى غير الرسمي من اموال المرائين في الغالب ان تقوية الشهور بعظمة الامراء والسلاطين في نفوس الأمة يضعف فيها الشهور باستحقاقها للسلطة واهليتها للحكم الدستوري فتبقى ذليلة مهينة . ويقابل هذا كون الاحتفال بصيد الدستور يقوي في الأمة الشهور بكرامتها واستحقاقها للحكم الذاتي . واذا كان سلطانها راضيا لها بذلك مشتركاً معها فيه — كما هو شأن سلطاننا محمد الخامس ايده الله تعالى — كان ذلك مما يحبه اليها ويرفع مكانته في نفوسها مع العلم بأن عزته بعزتها وعظمته بعظمها دون العكس

لهذا المعنى وضع عيد الدستور للأمة العثمانية ، وتعلقت به الإرادة السلطانية ،

ولهذا المعنى يحتفل العثمانيون بهذا العيد الوطني حينما كانوا ، وإنما حلوا ، وستكون
 عنايتهم بذلك على قدر فهمهم لقيمة الدستور وشعورهم بفائدته
 ألفنا نحن العثمانيين المقيمين بمصر لجنة لجمع المال ، والقيام بما يحسن من
 الاحتفال ، وشاركنا في ذلك اخواننا المصريون ، وما هم الا مثلنا عثمانيون ، واذا
 قوبل الخالص بالعام ، يراد بالعام ما وراء الخالص ، وسيكون احتفالنا في حديقة
 الازبكية ، بكيفية لم يعهد لها نظير في الأعياد القومية ولا الرسمية ، تتجلى فيها الحديقة
 متلاثة بالانوار الكهر بائية ، وأبدعها ما يمثل منها الشارات العثمانية ، وتألف فيها
 اصوات اشهر المطربين ، بنفحات احسن آلات الموبستين ، وتعرض فيها الصور
 المتحركة البديعة ، لا سيما صور حوادث الأستانة الاخيرة ، وغير ذلك من أسباب
 الانس التي تتوخى في هذه المواسم

وقد ألف أهل الاسكندرية لجنة لإقامة احتفال عمومي أيضا وسيكون هنا وهناك
 زينات خاصة يقيمها الافراد على بيوتهم أو امكنة أعمالهم فتجلى بهذه الاحتفالات
 عثمانية المصريين واخلاصهم للدولة العلية كما تجلى فيها حبهم للدستور ومعرفتهم لقيمته
 يذهب بعض رجال الدين الى ان هذه الأعياد الوطنية والسياسية محظورة في
 الاسلام لأنه لم يأت الا بعيدين فقط هما عيد الفطر وعيد النحر فالزيادة عليها
 بدعة . وقد سمنا هذا القول من أحد العلماء فقائنا له ان البدعة الدينية إنما هي فيما
 يصل على انه من الدين فقولك هذا إنما يصدق على الموالد التي صبغت بصفة
 الدين دون هذه المواسم المشتركة بين أهل الأديان المختلفة التي لا صبغة للدين
 فيها . نعم يتجه ان يقال ان الدين يحظر من المواسم الدنيوية ما وضع منها لتقصده
 ضار كعظيم الملوكة الظالمين وتقوية سلطتهم دون ما وضع لتقصده نافع كتعزيز
 الأمة ورفعة شأنها

المتشركون الماطلون

بعض الماطلين في القطر المصري مذمور بما أصابه من الصرة المالية وبعضهم
 يعتذر بها بغير حق ولكن ما بال أهل ستغافوره وجاوه وروسيا الذين كنا نعددهم
 أحسن المسلمين وفاء كادوا يكونون كأهل تونس مطالاً وهضمياً